Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ربما يبدو الوصف السابق زائدًا عن حاجة القصة الأساسية ولعله كان يكفى أن يقول عيسى " فسرت غير بعيد إلى بائع فاكهة ابتعت منه كذا وكـــذا ..." غير أنه من الممكن أن نكتشف خلاف ذلك إذا ما تأملنا باقى المقامة ، إذ بمجرد أن يجمع عيسى ما ابتاعه فى إزاره يقابل رجلا "***قد لف رأسه ببرقع حياء ونصب جسده وبسط يده واحتضن عياله وتأبط أطفاله***"(٤٦) لنتأمل أولا حال الرجلين ؛ بائع الفاكهة والثانى الذى لف رأسه، إن الأول يمكن أن نصفه بقليل من الاختزال بأنـــه صاحب بضائع مبسوطة تنتمـــى إلـــى الجـــانب المشرق اللذائذى من الحياة ، أما الثانى فإنه صاحب بضـــائع مطويـــة إلـــى جسده، إنه يحتضن عياله ويتأبط أطفاله، بما تنعكس دلالته على كلمتى نصب وبسط الواصفتين لجسده ويده ، لتنتج فى النهاية حالة من التكدس حول جسده يمكن اعتبار تلك الحالة نقيضًا لحالة الرجل الأول ؛ فحالـــة الشحـــاذ تنتمـــى للجانب المظلم من الحياة . ويأتى هنا دور عيسى الذى أخذ من الرجل الأول – بائع الفاكهة – أفضل ما لديه ليفرغه فى نهاية المقامة عند الرجل الثانى – الشحاذ – لتتحقق حالة وجودية تجمع النقيضين؛ إذ إن ماتنتهى إليه المقامة فى هذه النقطة هو انتقال أفضل ما فى الجانب المشرق من الوجود ليستقر فى أشد حالات هذا الوجود إظلامًا. يمكن اعتبار ذلك إشارة إلى تلك الرؤية العميقـــة للوجود التى ترى الأشياء فى وجودها المتشابك ، بما ينفـــى عنـــها ضديتـــها المتوهمة .

يدعم هذه الرؤية تلك الأبيات التى وصف بها الرجل الثانى – وهـــو الإسكندرى كما سيتضح – حالته مركزًا الدلالة حـــول رغبتـــه فـــى طعـــام خشن،هو على النقيض فيما يبدو مما يملكه الأول – بائع الفاكهة – حيث يقول الإسكندرى :

" ويلى على كفين من سويـــق أو شحمة تضرب بالدقيـــق